

# المقطف

الجزء العاشر من السنة السابعة عشرة

١ يوليو (تموز) سنة ١٨٩٣ الموافق ١٧ ذي الحجة سنة ١٣١٠

## قرطاجنة و خلاصة تاريخها

لم يصدق قولهم "لشعوب ادوار وللأم اعمار" كما صدق على قرطاجنة واهلها . فقد نشأت منذ الفين وثمان مئة عام وقامت وثقوت وناظرت مملكة الرومان وتغلبت عليها ثم تلى عرشها وطغت معالمها حتى لم يبق منها عين ولا اثر

وهي مدينة انشأها الفينيقيون في القرن التاسع قبل المسيح في الجهة الشمالية الشرقية من مدينة تونس الحالية وسموها قرث حديثت وهي كلمة فينيقية معناها القرية الحديثة وقد حرقتها اليونان والرومان والعرب فصارت كرشدون باليونانية وكرتاجو بالأينية وقرطاجنة بالعربية والاصل فيها كما تقدم

ولا يعلم شيء حتى الآن من تاريخ هذه المدينة في الثلاث مئة سنة الاولى من تاريخها لان كتبها حرقت كلها وقت خربت سنة ٤٦٦ ولم يصبها المؤرخون الا جانب قبل ذلك الزمن وصنأشافياً . ولما ذكروها في القرن السادس قبل المسيح كانت كرسي مملكة واسعة منتشرة في شمالي افريقية وبمسلطة على سردينية ومقلية ومالطة ثم تسلطت على كورسكا في اواخر ذلك القرن . وكان سكانها من الفينيقيين الذين هاجروا اليها من صور وصيدا وبقية شعور الشام . ومن الغلاسين الذين ولدوا باخنلاطهم باهالي افريقية . وكثر هؤلاء الغلاسيون في البلاد حتى خاف منهم حكام قرطاجنة فبعثوا بالشهير حنو في اواخر القرن السادس لينقاهم الى بلاد اخرى في افريقية فعبر بوغاز جبل طارق ودارحول غربي افريقية

وسنة ٥٠٩ قبل المسيح عقدت معاهدة بين قرطاجنة ورومية منع فيها الرومانيون من تجاوز الراس الجليل في سفرهم بحراً ولعل الغرض من ذلك منهم من الاتجار سيف

سواحل افريقية وتعد القرطاجيون ان لا يضرُوا بالمدن الرومانية ولو لم تكن خاضعة لرومية . ثم عقدت معاهدة اخرى تمتع الرومانيون من الاتجار في افريقية وسردينية وتيح للقرطاجيين ان يهاجروا كل مدينة رومانية غير خاضعة لرومية . ومفاد ذلك ان القرطاجيين كانوا اقوى من الرومانيين فكانوا يتحكّمون بالمعاهدات كما يشاءون . وبعد ذلك اشتدت المناظرة بين الاوريين والقرطاجيين فاحتمت نار الحرب اولاً على صقلية بين اليونان واهالي قرطاجنة ودامت اكثر من مئتي سنة . ولم يبق من اخبار تلك الحرب الا ما كتبه اليونان ولو بقي ما كتبه القرطاجيون لرأينا فيهم من دلائل البسالة والاقدام ما تعجلي به الحقيقة ويعلم سبب بقاء الحرب سجّالاً بين الفريقين . ثم نشبت الحروب بين القرطاجيين والرومانيين وكانت سجّالاً في اول الامر ثم اضطرت قرطاجنة ان تتخلى عن جزيرة صقلية فاستردّها الرومانيون ولكن همليكار القائد القرطاجي العظيم الملقب بالبرق لسرعة انتفاضه خرج منها خروج الظافر وسار الى اسبانيا واستولى على جانب كبير منها وانشأ فيها مملكة تقوم مقام صقلية التي خرجت من يد القرطاجيين . وهمليكار هذا هو ابو هنيبال القائد الشهير الذي يقال انه اشهر قواد الارض قاطبة كما يظهر ممّا يلي وقد ولد هنيبال سنة ٢٤٧ قبل المسيح واسمه بالفينيقية حنوبعل اي حنوّ الله ولما بلغ التاسعة من عمره مضى به ابوه الى الهيكل وامره ان يقسم بالله على معاداة الرومانيين معاداة ابدية . وتعلم فنون الحرب والسياسة وهو بين التاسعة والثامنة عشرة من عمره وقاد الجنود وغزا الفزوات تحت امرة صهره هسدروبال (عون الله) الذي خلف اياه همليكار على اسبانيا فوسع نطاق السلطنة القرطاجية فيها حتى كاد يجعلها ملكة مستقلة . وقتل هسدروبال سنة ٢٢١ قبل المسيح فانتخب الجنّد هنيبال قائداً عليهم بالاجماع وكان عمره ٢٦ سنة فقط فاستولى على بقية اسبانيا في سنتين من الزمان وكان فيها مستعمرة يونانية تحت حماية الدولة الرومانية فاجتاحها سنة ٢١٨ ومن ثم ابتدأت الحرب الفونية الثانية التي يسميها الرومانيون حرب هنيبال . فزحف على ايطاليا بتسعين الف راجل واثني عشر الف فارس وسبعة وثلاثين فيلاً وقطع جبال البرن ووصل نهر الرون في شرقي فرنسا فاعترضه سكانها الغالة ببيوشهم الجرارة فأخضع فيهم وهزمهم من طريقه وقطع جبال الالب الشاخنة في خمسة عشر يوماً وتغلب على مصعب لم يتغلب عليها غيره من القواد ومات من جنوده خلق كثير لانهم تربوا في افريقية واسبانيا ولم يعتادوا برد تلك الجبال . ولم يصل معه الى السهول سوى عشرين الف راجل وستة آلاف فارس

فحاصر تورين ونجحها عنوة ثم قابل الجنود الرومانية وهي بقيادة القائد شيبو فاستظهر عليها وقتل وبدد اربعين الفاً من جنوده. وشتى في وادي نهر بو ثم قام في الربيع وواصل الزحف ولاقى مشاق كثيرة من وعورة المالك وكثرة السيول والبحيرات وهجرة كثيرين من الجنود الذين انضموا الى عسكره ولكنه لم يأس بل واصل السير نحو رومية وقابل القائد فلامينيوس الروماني وانتصر عليه ولم يبق من جنوده احداً ثم قابله القائدان الرومانيان اميلوس باولوس وترتيوس ثرو بثمانين الف مقاتل وثمانية آلاف فارس ولم يكن مع حنببال سوى الف فارس ونحو ٢٨ الف راجل فقسم جنوده ثلاثة اقسام وقابل بهم الجنود الرومانية وقتل منهم خمسة واربعين الف مقاتل في ثمان ساعات واسر عشرين الفاً ولم يقتل من جنوده سوى ٥٧٠٠ وقتل القائد باولوس ونائبه. وطلب اليه قائد فرسانه ان يسبح له بالمهجوم على رومية نفسها فلم يجبه الى طلبه لعلوه انه لم يبق من جنوده الا اشرذمة صغيرة لا تقوى على حصار مدينة كبيرة كاملة العدد والعدد وكان غرضه ان يوقع الشقاق بين رومية والقبايل المخالفة لها لكي يضعف شأنها فيجرح في ذلك بعض النجاح

واقام في ايطاليا متمسكاً بعري الحزم ولم تسكره خمرة الظفر ولكن الحروب المتوالية وعودا في الامراض والمشاق اهلكت جنوده وخيله حتى لم يبق معه الا القليل منهم. وطلب من بلاده ان تمدده بالرجال فلم يسمع احد نداءه ولم يجيب له طلب. كل ذلك وهو صابر يجمع الرجال من قبائل ايطاليا الخارجين عن طاعتها ويدربهم على الحرب والجلاد ولم ينكسر في واعة من الوقائع ولا هجرة جندي واحد من جنوده المحنكين ولا تدمر منه احد. ويقال ان تغلبه على عواطف جنوده كان اعظم من تغلبه على جنود رومية وعلى مصاعب الطيمة

ولبث في ايطاليا يغزو البلدان ويفتح المدن الى سنة ٢١١ قبل المسيح وحينئذ زحف على رومية ويقال انه رشق رمحه فوق داخل اسوارها ولكنه لم يحصرها لقله جنوده ثم التقى بالجنود الرومانية في السنة التالية فبدد شمالها وما زال يقابل التواد الرومانيين ويقاتلهم قتالاً ثيباً له الاطفال وبسخن فيهم ويبيد الكتيبة بعد الكتيبة من جنودهم الى سنة ٢٠٧ قبل المسيح وحينئذ خرج اخوه هسدروبال من اسبانيا لتجديته فلاقاه القائد نيرو الروماني وتغلب عليه وقتله وقطع رأسه وارسله الى مخيم حنببال فلما رآه حنببال تفطر فواداه عليه وقطع الامل من نجدة قومه له فلجأ الى الجبال وبقي اربع سنوات

اخرى يحارب الجنود الرومانية الخارجة لقتالها الى ان كانت سنة ٢٠٢ قبل المسيح  
 وحيثما استصرخه اهالي قرطاجنة ليعود اليهم ويدافع عنهم لان الرومانيين كانوا قد  
 زحفوا عليهم فعاد الى قرطاجنة بعد ان اقام في ايطاليا خمس عشرة سنة والنصر ناسر لرواءه  
 فوق رأسه ولكنه لم يتوكل على الجنود الرومانية في بلده لان رجاله القليل قتلوا عن بكرة  
 ايهم وغيرهم من الليف والاتباع انضموا الى الاعداء فانتهت الحرب القوية الثانية  
 التي قال فيها الشبير ارثلد انها حرب رجل واحد مع مملكة رومية. وقد قتل هنيبال في  
 وقائع هذه الحرب ثلثثة الف محارب من الرومانيين وخرب ثلثثة مدينة من مدن ايطاليا  
 ولما عقدت شروط الصلح بين قرطاجنة ورومية وجه هنيبال همهته الى ادارة بلاد  
 فاصح دستورها وقوم الموج من احكامها وابتعد المتسدين عنها فاعتصبوا عليه وسعوا به  
 الى الرومانيين فطلب هؤلاء ان يسلم اليهم قترك بلاده واتي مدينة صور محمد  
 القرطاجنيين الاصلي ثم زار ملك افسس بحرصة على محاربة الرومانيين فلم يجب طلبه  
 فضى الى ملك يثينية وساعده على محاربة ملك برغامس والتغلب عليه ولما رأى ان لا  
 قبل له بمحاربة الرومانيين ولا نصير له عليهم تجرع سمًا ميتًا لكي لا يقع في ايديهم

وكل ما وصل اليها من اخبار هذا القائد العظيم منقول عن اعدائه الرومانيين وقد  
 حاولوا ان يعضوا شأنه بتدر طاقاتهم ولكنهم لم يستطيعوا ان يجلبوا شمس الحقائق فعلم  
 من خلال اقوالهم ومظاعنهم ما اثبتناه من بسالته وعلو شأنه

هذا ولتعد الى الكلام على قرطاجنة فنقول انها من يوم فخر صاحبها هنيبال ضعف  
 شأنها ولاسيما لان الرومانيين سلبوها كل منفها الحربية. ثم اجتاحتها سنة ٤٦ قبل المسيح  
 بعد ان حاصروها سنتين وقد دافع اهلبا دفاع الابطال وجادوا بالارواح والاموال ولكن

لما دنا الوقت لم تخلف له عدة وكل شيء الى وقت ويمعاد  
 حمو حريتهم حتى اذا غلبوا سبقوا على نسق سيفه جبل مقتاد  
 وعيث في كل طوق من دروعهم فنبغ منهن اغلال لاجياد  
 حط القناع فلم تستر مخدرة ومزقت اوجهه تمزيق ابراد

وكان في المدينة سبع مئة الف من السكان فالت على حد السيوف ففوسهم واحتمل  
 الرومان من بقي منهم حيا لبيعهم ارقاء ثم

سارت سفائنهم والنوح يتبعها كأنها ابل يمدو بها الحادي  
 كم سال في الماء من دمع وكم حملت تلك القطائع من قطعان اكباد

وجدد الرومانيون بناء قرطاجنة ولكنها لم تعد كرسي مملكة نينقية كما كانت اولا وتناسى الرومانيون تاريخ شعبها الاصلي ولم يخلدوا له في بطون تاريخهم الا البغضة والعداء لكن لا يتعذر على احد ان يستدل من خلال التواريخ الرومانية على ان القرطاجيين كانوا اهل صناعة وتجارة وحزم واندام وانهم كانوا ابرع اهل زمانهم في سلك البحار واتقاهم الاخطار ولكمهم لم يكونوا كالرومانيين في حسن الادارة والرفق بالرعايا ولا كانت جنودهم كلها من بنينهم ولذلك لم يأمنوا جانبهم دائما ولا بقيت البلدان الخاضعة لهم على ولائهم . وكانت ديانتهم وثنية تبيع سفك الدماء في شعائرها وتقريب الذبايح البشرية حتى لقد كانوا يقربون ابناءهم قرابين لمعبودهم مولك

ولم يكن لهم ملك بل رئيسان ينتخبان من بعض البيوتات الكبيرة ويجلس شورى فيه مئة نائب واربعة نواب ويدير القوة الاجرائية . ومحاكم وقضاة لاقامة العدل بين الرعية . وكان دخل الحكومة من المكوس على البضائع الواردة اليهم ومن الجزية على البلدان الخاضعة لقرطاجنة ومن المعادن التي كانت الحكومة تستخرج فلزتها في كورسكا واسبانيا . وكانت قرطاجنة ترسل الى ساحة الحرب مئة الف مقاتل ولما تهر اكومس اسطولها كان فيه ٣٥٠ سفينة ومئة وخمسون الف جندي . وامتدت تجارتها في البحر المتوسط كله وفي الاوقيانوس الاثنتيكي الى بلاد الانكلير وجزر بلطيك وكان لها تجارة برية واسعة في افريقية ووصلت قوافل تجارها الى مصر . وكانت تجلب الليند والذهب والعاج والحجارة الكريمة من افريقية واخر والماشية والحديد والاعنار من سواحل بحر الروم والفضة من اسبانيا وسردينيا والقصدير والنحاس من بريطانيا والكهرباء من بحر بلطيك اما قرطاجنة التي جدها الرومانيون فبلفت اوج مجدها في القرن الثالث للمسيح وعقد فيها كثير من الجماع المسيحية وغزاها جنسرك التندالي سنة ٤٣٩ وصارت كرسي مملكة التندال في افريقية الى سنة ٥٣٣ . واراد الملك هرقل بعد ذلك ان يجعلها كرسي مملكته . وسار عليها عبد الله بن سعد بأمر الخليفة عثمان فتحميا وقتل واليها سنة ١٦ للهجرة ثم خربها حسان بن العمان النسائي في خلافة عبد الملك بن مروان سنة ٧٤ للهجرة على ما ذكره ابن الاثير في الكامل . ولم يزل اهل البحث والتنقيب من الاوربيين يبحثون عن تاريخ اهلها النينقيين ولا يبعد ان يروا في اطلالها ما رأوه في اطلال المصريين والاشوريين من الآثار التي هي ادل على احوال السكان من كل ما سطره الكتاب والمؤرخون